والصلحاء والأتقياء العظام، تدل على ذلك كله مؤلفاتهم وتراجمهم، ولا شك أن ذلك من فضل الله، {والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم} .

(133/1)

قد تم بفضل الله كل ما كنت أردت أن أقوله إجابة على سؤال طالب الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وأخيراً أريد أؤكد أن ماقاله الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي – أحد علمائنا الكبار – في فتواه في شأن الشيخ النجدي وأتباعه يتسم بالاعتدال والتوازن، والدقة والتحري، وقال الشيخ الكنكوهي في آخر جزء من فتواه "إلا الذين تجاوزوا الحد ودخلهم الفساد، ولا أريد أن أطيل للمرة الثانية، فقد سبق أن سردت رسالة الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب النجدي التي اعترف فيها بأن بعض المتطرفين من غلاة عسكره قد أحرقوا بعض كتب العلماء المتقدمين، وقد عوتبوا على ذلك، واعتذر الشيخ أن تصرفهم هذا يرجع إلى جهلهم (1) .

وقد اعترف بعض من ترجم للشيخ محمد بن عبد الوهاب بذلك في عبارة صريحة، وقالوا إنه كان بعض أتباعه متطرفين لا يحتفظون بالاعتدال، وليراجع في ذلك كتاب "محمد بن عبد الوهاب" لصاحبه أحمد عبد الغفور عطار (2) .

حتى قال القاضي الشوكاني – وهو ممن يتفقون مع الشيخ

---

(1) راجع الهدية السنية ص 40.

(2) ص 123، 165، 175.

(134/1)

محمد بن عبد الوهاب في العقائد، والمنهج الفكري، ويكثرون من الثناء عليه:

"إن جماعة منهم خاطبوه هو ومن معه في حجاج اليمن أنهم كفار" (1) .

ولعل هذه الشرذمة القليلة من الغلاء في جماعته هي التي سببت إساءة الظن بالشيخ محمد وأتباعه، ودعوته، وسببت الدعاية الكاذبة ضد علماء نجد، وإن كان كل ذلك لا يتفق والواقع، فقد فنده

الشيخ وأتباعه وعلماء جماعته في كثير من الكتب والمؤلفات، حيث لم يتركوا مجالا للشك والارتياب.
والله الهادي إلى سبيل الرشاد وهو الموفق للصواب،
بين الإمام الشيخ محمد أنور شاه الكشميري. والشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي:
وهناك عبارة في "فيض الباري" (مجموعة محاضرات الشيخ العلامة محمد أنور شاه الكشميري في درس "صحيح البخاري") تنمى إلى العلامة الكشميري، وفيها وصف للشيخ محمد بن عبد الوهاب بما لا يتفق والواقع، كما لا يتفق مع شأن أستاذنا الإمام الكشميري ومكانه، ومع رزانته العلمية، وأسلوبه

---

(1) البدر الطالع، ج 2، ص 5.

الممتاز بالجدية والوقار، في البحث والتحقيق، والتعرض للأشخاص والأفراد.
ثم إن هذه العبارة تتضمن رأياً في كتاب "تقوية الإيمان" للشيخ إسماعيل الشهيد لا يصح عند كاتب هذه السطور في حال من الأحوال، ولا يسعني أن أتأكد من أن العبارة هي نص ما قاله أستاذنا الكشميري في درس صحيح البخاري.
وأريد أن أتعرض في السطور الآتية لما إذا كان لهذه العبارة نسبة من الصحة ورصيد من الواقع، والمسئول من الله تبارك وتعالى هو التوفيق للصواب والسداد.
نوعية تأليف "فيض الباري":
ولا بد في هذا الصدد أن نضع في الاعتبار أولا، أن كتاب "فيض الباري" ليس من تأليف أستاذنا العلام الإمام الكشميري رأساً بل إنه مجموع ما أفاده الشيخ الكشميري لدى تدريس صحيح البخاري، جمعه تلميذه النجيب البار الشيخ بدر عالم الميرتهي ثم المدني الذي لازم الحضور والاستماع إلى محاضرات الكشميري في صحيح البخاري أعواماً طوالا، وكان ينوي أنه سينشر هذه الأمالي التي جمعها بعد مراجعة الشيخ الكشميري، لكنه لم يتمكن من ذلك حيث توفى الكشميري في

أوائل 1352هـ.

ثم قام الشيخ بدر عالم بنقل هذه الأمالي إلى اللغة العربية وجاءت الترجمة في أربعة مجلدات، وظهرت طبعتها الأولى في مصر عام 1357هـ.

ولا شك أن للشيخ بدر عالم – رحمه الله رحمة واسعة– منة عظيمة في رقابنا نحن طلاب العلم إذ حفظ لنا بجهده الجبار هذا التراث العلمي الغالي، ووفر لنا فرصة الاستفادة من إفادات أستاذنا الإمام الكشميري. وإلى ضاع هذا التراث العلمي فيما ضاع من التراث الهائل عبر التاريخ الإسلامي، ولكنه على كل حال ليس من تأليف الكشميري نفسه.

وقد صرح بهذه الحقيقة مقدمة العظيم فقيد العلم العلامة المحدث محمد يوسف البنوري (1) عليه رحمة الله، في تقديمه، في

---

(1) العلامة المحدث الفقيه الحنفي محمد يوسف بن سيد محمد زكريا بن مزمل شاه البنوري الحسيني، ولد في 1326هـ الموافق 1908م، في قرية من قرى "بشاور" ينتهي نسبه عن طريق جده التاسع إلى العالم الرباني الكبير السيد آدم بن إسماعيل الحسيني الغزنوي المدني إلى سيدنا حسين بن علي رضى الله عنهما =

. . . .

= قرأ مبادئ النحو والصرف في "كابل" عاصمة أفغانستان على الشيخ عبد الله البشاوري الشهيد في 1340هـ وقرأ المتوسطات في كابل وغيرها، ثم قرأ كتب العلوم والفنون ولا سيما الحديث والأصول في دار العلوم ديوبند في الفترة ما بين 1345هـ و 1347هـ، وتخرج في الحديث من جامعة "دابهيل" بكجرات، على أستاذيه الكبيرين الإمام محمد أنور شاه الكشميري الديوبندي، والعلامة المفسر الشيخ شبير أحمد العثماني الديوبندي، صاحب "فتح الملهم في شرح صحيح مسلم" وقد كان له اختصاص بالإمام الكشميري أفاد منه كثيراً وتشبع بروحه العلمية، وارتوى من منهله العلمي الفياض ما شاء الله أن يرتوي ... ، وقد استفاد من العلامة الكبير الشيخ محمد زاهد الكوثري، والعالم الكبير الشيخ خليل الخالدي المقدسي، والمحدث الجليل الشيخ عمر ابن حمدان المحرسي المالكي المغربي

وغيره من العلماء العظام في عصره.
وقد كان يجمع بين كثير من العلوم والفنون، ولكنه كان عظيماً في الحديث، والتفسير، والفقه، وله اليد الطولى في العربية، وقلم سيال في الكتابة باللغة =

(138/1)

. . . .

= العربية، وذوق في الشعر العربي وسليقة في قرضه. انتهت إليه الرئاسة في فن الحديث في شبه القارة الهندية في هذا العهد الأخير، والاعتراف بفضله وتعمقه وتبحره كلمة إجماع من أفاضل العرب والعجم وقد عمل أعمالا جليلة في مختلف المجالات، السياسية، والاجتماعية، والدينية، وإليه يرجع الفضل في اعتبار القاديانية أقلية غير إسلامية بباكستان، وقد أسس مدرسة عربية بنيوتاون كراتشي، بباكستان، باسم المدرسة العربية، فأورقت وأثمرت، وصارت دوحة خضراء ذات أغصان مترامية الأطراف في حياته، وأفادت باكستان وخدم عن طريقها خدمة جليلة للعلم والدين.
من مؤلفاته "بغية الأريب في أحكام القبلة والمحاريب طبع في القاهرة منذ 1357هـ، ونفحة العنبر في حياة إمام العصر الشيخ محمد أنور" و "يتيمة البيان مقدمة كتاب "مشكلات القرآن" للإمام الكشميري، "ومعارف السنن" شرح جامع الترمذي إلى المناسك في ستة مجلدات كبار، توفي رحمه الله في 1397هـ- 1977م.

(139/1)

ص 31، إذ قال – بعد ما أشاد بجهوده المضنية المشكورة التي بذلها في سبيل هذا الكتاب –: "ولا يمكن أن يدعي أنه عصم عن الخطأ جمعه.. ولا أن يدعي إصابته في تنقيح جميع ما وصل إليه من الشيخ، وتفصيله وتحريره، ولا أن يدعى إصابة المرمى في فهم جميع ما سمعه ووعاه".
وكاتب هذه السطور يعرف شخصياً أن الشيخ بدر عالم كان يشعر شعوراً قوياً ببعض السقطات في الكتاب وكان قد بدأ فعلا في مراجعته وتنقيحه وتصحيحه خلال إقامته بالمدينة المنورة، ولم يمهله الأجل فلم يتمكن إلا من البدء في العمل، ورحمه الله رحمة واسعة وجزاه جزاء عباده الصالحين

المخلصين.

التعرض لذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي، والشيخ الشهيد إسماعيل بن عبد الغني في "فيض الباري":

جاء ذكر الشيخ النجدي عرضاً واستطراداً في سطرين قليلين في "فيض الباري" من خلال الحديث عن "تقوية الإيمان" وصاحبه محمد إسماعيل الشهيد، لعل الحديث عن الشيخ الشهيد إنما تطرق إلى الشيخ النجدي لأن لكيهما كان حاملي لواء الحرب ضد تقاليد الشرك والبدع والخرافات والعكوف على الأضرحة وعبادة القبور، وجاهدوا في عهدهما ومناطقهما جهاداً كبيراً في

(140/1)

سبيل تنقية العقيدة، وإجلاء الغبار عن عقيدة التوحيد الحنيفية، وقد لعب معارضوهما دوراً متجانساً في القيام بالدعايات الكاذبة المخدرة للعقول، والمصيدة للسذج من الناس. تلك التي فصلناها في الصفحات الماضية.

وأرى جديراً أن أتحدث في شيء من التفصيل عن المناسبة التي تنطوي على الحديث عن الشيخ محمد النجدي، والشيخ محمد إسماعيل الشهيد الدهلوي،

قد عقد الإمام البخاري في "كتاب العلم" من جامعه الصحيح باباً بعنوان "باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة، وساق تحته ملازمة عبد الله بن مسعود لالقاء الوعظ في أيام الخميس.. وما ساقه الشيخ بدر عالم في هذه المناسبة من إفادات الإمام الكشميري خلاصته: أن الإمام البخاري يريد أن يقرر تخصيص أيام أو أوقات لالقاء الدرس أو الوعظ ليس من "البدعة" في شيء. ثم أفاض الشيخ بدر عالم في إبانة حقيقة البدعة وحدودها.

ثم أفرد عنواناً باسم "الفائدة" على حدة من محاضرات الكشميري وأشاد – فيما كتب تحت هذا العنوان – بكتاب "إيضاح الحق الصريح، في أحكام الميت والضريح" للشيخ محمد إسماعيل الشهيد،

(141/1)

ونوه بفنائه في الدر على البدع والخرافات، والتشنيع عليها وصرح فيما بين هذه السطور بأن كتاب "إيضاح الحق الصريح" أعظم شأنا وأرفع قيمة من كتابه "تقوية الإيمان" وقال: "وكتابه تقوية الإيمان

فيه شدة فقل نفعه".
ويقول كاتب هذه السطور: إن "تقوية الإيمان" في الواقع يتميز بشدته في بعض المواضع، ولكنها شدة في مواضعها كشدة القرآن الكريم فيما يتصل بالشرك وأحلافه، وأرى أن المجتمع الإسلامي الهندي كان يحتاج آنذاك إلى مثل هذه الضربة القوية المؤذية على جذور أنواع الشرك والبدع التي نالت كل نصيبها من الرواج والقبول، تلك الضربة التي ضربها كتاب الشهيد محمد إسماعيل "تقوية الإيمان" والفضل يرجع إلى هذا الكتاب ومؤلفه المخلص المؤمن فيما قام من الحرب الشعواء – في العهد الأخير – على عبادة القبور والعكوف على الضرائح، والاستعانة بالأولياء، والنذر والذبح لهم، وما إلى ذلك من تقاليد الشرك والخرافات الجاهلية الممتدة جذورها في أعماق المجتمع.
وكل من له إلمام بتاريخ الشعب المسلم الهندي لقرن ونصف قرن مضى، يدرك جيداً ما كان لـ"تقوية الإيمان" من التأثير =

(142/1)

بعيد المدى في صلاح عقيدة مآت آلاف من عباد الله، وتمسكهم بأصل الكتاب والسنة وعودتهم إلى الإسلام الخالص من كل شائبة من الخرافات التي ما أنزل بها من سلطان.
على كل فالرأي الذي نجده في "فائدة" الشيخ بدر عالم فيما يتعلق بكتاب "تقوية الإيمان" لا رصيد له من الواقع، على أنه يتعارض مع الآراء المحمودة ذات التحبيذ الحار التي أبداها الأستاذ العلامة الكشميري: الشيخ الكبير المحدث محمود حسن الديوبندي المعروف بـ"شيخ الهند" والعلامة رشيد أحمد الكنكوهي، والعلامة الكبير المحقق الشيخ أشرف على التهانوي، ومن هنا فإن كاتب هذه السطور يرى أن العبارة التي جاءت تحت "الفائدة" ليست من محاضرات الأستاذ.. كما أن هناك رسالة للشيخ الكشميري باسم "سهم الغيب في كيد أهل الريب" في اللغة الأردية – في الرد على رسالة "إزالة الخفاء" لأحد المبتدعين في الهند، التي أثبت فيها صاحبها لرسول الله (علم الغيب كلياً – قد نوه فيها الإمام الكشميري بكتاب "تقوية الإيمان" تنويهاً لا يدع مجالا للشك في أن ما جاء في "فيض الباري" من الحط من شأن الكتاب ليس من رأي الأستاذ..

(143/1)

"فيض الباري" والشيخ محمد ابن عبد الوهاب النجدي:

وقد جاء التعرض – بعد الرأي المشار إليه في كتاب "تقوية الإيمان" – لذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، بألفاظ نابية غير مناسبة جداً، وهاك تلك:

"إنه كان رجلاً بليداً قليل العلم، فكان يتسارع إلى الحكم بالكفر".

وقد قلت فيما يتصل بـ"تقوية الإيمان" إن الكلام الذي جاء تحت "الفائدة" في "فيض الباري" لا يمت إلى محاضرات العلامة الكشميري الدرسية بصلة ما، وهذه الكلمات التي تطعن في الشيخ محمد بن عبد الوهاب جاءت في "الفائدة" أيضاً وما تنطوي عليه الكلمات من المواصفات لا سند له من الحقيقة البتة، على أنها لا تتفق مع مكانة الكشميري العلمية الوقورة الجادة، وأسلوبه النزيه العفيف في التعرض لأحد بالنقد، والمؤاخذة عليه، وهذه الدلائل كلها تجعل كاتب هذه السطور يتأكد من أن مثل هذه العبارة والفكرة التي تنطوي عليها، هي من عند الشيخ بدر عالم رحمه الله، ليس إلا، ولا غرر إذا كان الشيخ بدر عالم قد تأثر بتلك الدعايات المكثفة.

(144/1)

المعتمة التي فصلنا القول فيها في الصفحات الماضية، والتي فعلت فعلها في قلوب عظام المخلصين من العلماء الأفذاذ الذين لا ترتقي إليهم شبهة، أمثال العلامة المحدث خليل أحمد السهارنبوري والشيخ العالم العامل المجاهد حسين أحمد المدني– والله أعلم بالصواب.

وأما الجزء الثاني من هذا الرأي (أي التسارع إلى الحكم بالكفر) فإنه – على الرغم من أني قدرت أن العبارة ليست هي نص ما قاله أستاذنا الكشميري – ربما يمكن أن يكون الكشميري قد رأى هذا الرأي، لأن هذا الرأي قد أبداه في الشيخ النجدي بعض أولئك الذين لم يكونوا يعاندونه فقد كان العلامة القاضي الشوكاني اليمني معترفاً اعترافاً بالغاً بجهود الشيخ النجدي المخلصة المؤمنة المضنية في سبيل الدعوة إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله، وإفراد الله بالعبودية، والتمسك بالكتاب والسنة، وما أثمر غراس دعوته وحركته من نتائج ومكاسب محمودة مباركة، لكنه على الرغم من ذلك يقول في موضع من كتابه:

"ولكنهم يرون أن من لم يكن داخلا تحت دولة صاحب نجد، ممتثلا لأوامره، خارج عن الإسلام"

ويقول بعد سطور:

"ومن جملة ما يبلغنا عن صاحب نجد أنه يستحل سفك دم من لم يحضر الصلاة في الجماعة، وهذا – إن صح – غير مناسب لقانون الشرع.

(145/1)

ثم يقول بعد إلقاء الضوء على هذه المسألة:

"وتبلغ أمور غير هذه، الله أعلم بصحتها، وبعض الناس يزعم أنه يعتقد اعتقاد الخوارج، وما أظن أن ذلك صحيح" (1) .

على كل فإن القاضي الشوكاني قد رأى مثل هذا الرأي في الشيخ النجدي مع الاعتراف بقيمة جهوده وجهاده في سبيل تصحيح تنقيح العقيدة الإسلامية، والعودة بالناس إلى التوحيد الخالص، والعقيدة الاسلامية، وذلك في ضوء ما بلغه عن الشيخ النجدي.

وتعلمون أن الإنسان إنما يؤسس رأيه وفكرته، وموقفه على معلوماته واطلاعه، إن صحيحاً فصحيح وإن خطأ فخطأ.

وكذلك قد يمكن أن يكون العلامة الكشميري قد أبدى هذا الرأي في الشيخ النجدي في ضوء معلوماته عنه، وربما يمكن أن يكون أساس رأيه هو كتاب "البدر الطالع" للعلامة الشوكاني فقد كانت مؤلفات الشوكاني مما درسه وطالعه.

وقد صرح الشيخ الأمير صديق حسن خان رحمه الله في كتابه "إتحاف النبلاء" – بمناسبة الحديث عن الشيخ النجدي – أن

---

(1) البدر الطالع، ج 2، ص 5–6.

(146/1)

عالماً في القرن الثالث عشر الهجري، وهو السيد داؤد بن سليمان البغدادي، قد ألف كتاباً في الرد على الشيخ النجدي باسم "صلح الإخوان" وقد تناول المؤلف فيها العلامتين الجليلين:

ابن تيمية وابن القيم الجوزية، بالنقد والطعن.

كما وضع تلميذ من تلاميذ العلامة الشوكاني الأفاضل، وهو الشيخ محمد بن ناصر الحازمي النجدي

المتوفى 1283هـ رسالة باسم "فتح المنان في ترجيح الراجح وتزييف الزائف من صلح الإخوان" ترجم فيه أولا للشيخ النجدي، تحدث في اعتراف وإعجاب عن أحواله وحياته وجهوده ومحاولاته، ثم صرح بأن الرأي الذي أبداه مؤلف "صلح الإخوان" فيما يتصل بتسارعه إلى القتال والتكفير، صحيح ومؤسس على الانصاف، أما ما قاله الشيخين: ابن تيمية وابن القيم ففنده الشيخ الحازمي في قوة وصراحة، وآخر ما قاله في هذا الشأن:

"هما عالمان عاملان، نقيان ثقتان منصفان، تعبئا لأنفسهما وأديا ما عليهما".

على كل فإن الشيخ الحازمي الذي لم يكن من معارضي الشيخ النجدي، بل كان من أنصاره إلى حد ما، ولم يكن جاهلا بكتابات الشيخ النجدي ومؤلفاته –كما تدل عليه رسالته "فتح المنان" –

(147/1)

كان يرى موقف الشيخ النجدي من التكفير قابلا للجدال والنقاش بل للاستنكار، فربما يمكن أن يكون الشيخ الكشميري رأى في الشيخ النجدي مثل هذا الرأي.

وقد نقل الشيخ المرحوم نواب صديق حسن خان مقتطفات موسعة في كتابه "إتحاف النبلاء" من رسالة الشيخ الحازمي المشار إليها، بل عول عليها في ترجمة الشيخ النجدي.

وقد وقف هذا الموقف نفسه أكابر علماء "أهل الحديث" عندنا في الديار الهندية من موقف الشيخ النجدي من القتال والتكفير، ودائماً أعربوا عن اختلافهم مع الشيخ النجدي وأتباعه وجماعته في هذه القضية.

وقد قلت في مقدمة هذا الكتاب: إن الشيخ مسعود عالم الندوي السلفي رحمه الله هو أول من أفرد كتاباً في ترجمة الشيخ النجدي، ووضع فيه جهده، وسهر في جمع المواد والمعلومات عنه، وقد ظهر الكتاب منذ نحو 35 عاماً، وقد كان الشيخ مسعود عالم يرى الشيخ النجدي من رجال العزيمة والتجديد في الأمة الإسلامية، ولكنه سجل في كتابه (ص 175) اختلاف جماعة أهل الحديث في الهند مع الشيخ النجدي وأتباعه فيما يتصل بالتكفير والقتال.

(148/1)

ويرى كاتب هذه السطور – في ضوء دراسته لكتابات أتباع الشيخ النجدي وأبنائه – أن بعض أتباع الشيخ النجدي حقاً كانوا غير متحفظين في التكفير إن لم أقل "متسرعين" وقد قال القاضي الشوكاني في كتابه "البدر الطالع".

"ولقد أخبرني أمير حجاج اليمن السيد محمد بن حسين المراجل الكبسي، أن جماعة منهم خاطبوه هو، ومن معه من حجاج اليمن بأنهم كفار، وأنهم غير معذورين عن الوصول إلى صاحب نجد، لينظر في إسلامهم، فما تخلصوا منه إلا بجهد جهيد" (1) .

ونعتقد أن أمثال هؤلاء الناس من أتباع الشيخ النجدي هم الذين كانوا سبباً قوياً في إساءة سمعة جماعته وحركته المخلصة.

{ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم} .

---

(1) البدر الطالع، ج2، ص5.

(149/1)
